

تفسير السعدي

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فَتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ

أي: لما تملك طالوت بني إسرائيل واستقر له الملك تجهزوا لقتال عدوهم، فلما فصل

طالوت بجنود بني إسرائيل وكانوا عددا كثيرا وجما غفيرا، امتحنهم بأمر الله ليتبين

الثابت المطمئن ممن ليس كذلك فقال: { إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني

{ فهو عاص ولا يتبعنا لعدم صبره وثباته ولمعصيته { ومن لم يطعمه { أي: لم يشرب منه

فإنه مني { إلا من اغترف غرفة بيده { فلا جناح عليه في ذلك، ولعل الله أن يجعل فيها

بركة فتكفيه، وفي هذا الابتلاء ما يدل على أن الماء قد قل عليهم ليتحقق الامتحان،

فعصى أكثرهم وشربوا من النهر الشرب المنهي عنه، ورجعوا على أعقابهم ونكصوا عن

قتال عدوهم وكان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة أكبر دليل على عدم صبرهم

على القتال الذي سيتناول وتحصل فيه المشقة الكبيرة، وكان في رجوعهم عن باقي
العسكر ما يزداد به الثابتون توكلًا على الله، وتضرعًا واستكانة وتبرؤًا من حولهم وقوتهم،
وزيادة صبر لقتلهم وكثرة عدوهم، فهذا قال تعالى: { فلما جاوزه { أي: النهر { هو { أي:
طالوت { والذين آمنوا معه { وهم الذين أطاعوا أمر الله ولم يشربوا من النهر الشرب المنهي
عنه فأوا... قتلهم وكثرة أعدائهم، قالوا أي: قال كثير منهم { لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده { لكثرتهم وعددهم وعددهم { قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله { أي: يستيقنون
ذلك، وهم أهل الإيمان الثابت واليقين الراسخ، مثبتين لباقيهم ومطمئنين لخواطريهم،
وآمرين لهم بالصبر { كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله { أي: بإرادته ومشيئته
فالأمر لله تعالى، والعزيم من أعزه الله، والدليل من أذله الله، فلا تغني الكثرة مع خذلانه،
ولا تضر القلة مع نصره، { والله مع الصابرين { بالنصر والمعونة والتوفيق، فأعظم جالب
لمعونة الله صبر العبد لله، فوعدت موعظته في قلوبهم وأثرت معهم.